(البواعث النفسية في شعر جرير والفرزدق دراسة موازنة)

أ.م.د.صلاح حسون جبار الباحث/ حسن جبار جلوب

جامعة القادسية

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr.Salah Hassoun Jabbar Hassan Jabber Challoub

University of Qadissiya

College of Arts–Department of Arabic

الملخص:

إن الدراسات القديمة منها والحديثة اشارت بشكل مكثف الى أهمية الحالة النفسية للشاعر ومدى تأثيرها على مخرجات ذلك الشاعر سواء أكان عبر قناة الحب أو خلافه، وقد كان للعصر الأموي نصيبا كبيرا من تلك الدراسات؛ لما يحمله ذلك العصر من أرهاصات احاطت بالمجتمع الأموي الأسلامي، ومدى استجابة الشعراء لتلك الارهاصات، وممن لمع اسمه في هذا المجال الرحب من الدراسة هما: الشاعران جرير والفرزدق اللذان استطاعا أن ينصاعا الى مشاعرهما ليكون باعثا حقيقيا لما يختلج في داخلهما من مشاعر اثمرت قصائدا تحمل صبغة الفخر لاحت في سماء ديوان العرب، وكانت جديرة بالدراسة في كل حين والوقوف على موازنة علمية دقيقة لتلك الأبيات الشعرية التي حملت تلك البواعث النفسية لكلا الشاعرين.

الكلمات المفتاحية: البواعث، الموازنة، الحالة النفسية، الحب، الفخر.

Summary:

The ancient and modern studies referred extensively to the importance of the poet's psychological state and the extent of its

impact on the outcomes of that poet, whether through the love channel or otherwise. The Umayyad era had a large share of those studies; Because of the ominous signs that surrounded the Umayyad Islamic society, and the extent to which the poets responded to those signs, and those who made his name shine in this vast field of study are: the poets Jarir and Al-Farazdaq, who were able to submit to their feelings to be a real motivator of the feelings within them that yielded poems bearing a tint Pride appeared in the sky of the Arab Diwan, and it was worthy of studying at all times and standing on an accurate scientific balance for those poetic verses that carried those psychological motives for both poets.

Keywords: Motives, balancing, psychological state, love, pride.

الباعث النفسي من رؤية نقدية.

مما لاشك فيه أن لعلماء النفس والنقاد باعاً كبيراً واهتماماً منقطع النظير في الامور التي تؤثر على الإنسان المبدع او تؤثر فيه لتجعل منه إنسانا آخرا ينماز بقوة قد تكون خافية للآخر تظهر حينما تجد لها الفرصة المؤاتية .

وقد يكون المرور بالنقاد العرب القدامى رأياً سديداً للأخذ بما ابدوه في موضوع الباعث النفسي لدى الشاعر ومدى تأثيره ليكون انسانا مبدعا، فقد يكون ابن سلام الجمحي(ت٢٣١هـ) أول من اشار الى هذه القضية إذ قال(وبالطائف شعراء ليسوا بالكثير وانما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الاحياء نحو حرب الاوس والخزرج او قوم يغيرون ويغار عايهم والذي قلل شعر قريش انه لم يكن بينهم نائرة ولم يحاربوا وذلك الذي قلل شعر عُمان وأهل الطائف)[١]، وهذا يؤكد ارتباط الابداع الشعري بالانفعالات الخارجية التي تثير الانسان والتي تدعى البواعث الخارجية.

وهناك من شاطر ابن سلام في ذلك من امثال الجاحظ(ت٢٥٥هـ) الذي اشار الى تلك الانفعالات وحقيقتها وعلاقتها بالابداع الشعري لدى الشعراء عبر ما نقل عنه انه(قيل

لاعرابي: ما بال المراثي اجود اشعاركم؟ قال لانا نقول واكبادنا تحترق)[٢]، وهذا دليل آخر واضح بان الباعث قوة خارجية تحرك قوة داخلية لتنتج ابداعا شعريا كبيرا.

واذا ما تقدمنا قليلا في الزمن نجد ان ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ) المتأثر قليلا بمن تحدثوا عن الغريزة وعلاقتها بالبواعث فيقول: (وللشعر دواع تحث البطئ وتبعث المتكلف منها الطمع ومنها الشوق ومنها الشراب ومنها الطرب ومنها الغضب)[٣]، فنجد في ذلك ان الانسان كتلة من القنوات التي يستمد منها القوة ليكون مختلفا.

وقد نجد ابن رشيق القيرواني(ت٤٥٦هـ) يحدد الامور نفسها التي قال بها من سبقه من النقاد، إذ جعل (قواعد الشعر اربعة هنَّ: الرغبة والرهبة والطرب والغضب فمع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيم ومع الغضب يكون الهجاء والوعد والعتاب الموجع)[٤].

ونختم آراء القدامى بموضوع البواعث برأي قد يكون الاشمل في ما ذكرناه من آراء وهو لحازم القرطاجني(ت٦٨٤هـ) إذ يقول انها(أمور تحدث عنها تأثرات وانفعالات للنفوس لكون تلك الامور مما يناسبها او ينافرها ويقبضها أو لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الامر من وجهين: فالامر قد يبسط النفس ويؤنسها بالمسرة والرجاء ويقبضها بالكأبة والخوف وقد يبسطها ايضا بالاستغراب لما يقع فيه من اتفاق بديع، وقد يقبضها ويوحشها بصيرورة الامر من مبدأ سار الى مآل غير سار)[٥].

ولا نستطيع ان نغفل عما جاء به القرطاجني من التخيل والمحاكاة التي قد يشكلان محركاً رئيساً للابداع والتي يكون فيها العامل الخارجي اكثر تأثيرا منه في العامل الداخلي والتي أطلق عليها بـ(المهيئات والادوات والبواعث)[٦]، وما لها اثر كبير في بناء ملكة الشعر إذ جعل هذه الشروط حواجز لنظم الشعر .

واذا ما انعمنا النظر في تلك النصوص النقدية القديمة نجدها قد أسست لقوانين فهم العملية الابداعية للشاعر او الانسان بشكل عام، فنجد ان الحافز الداخلي قد تأثر بباعث خارجية أثرت على الانسان لتجعل منه انسانا مبدعا.

واذا ما حاولنا المرور سريعا على تحديد مصطلح الباعث(Incentiue) من وجهة نظر غربية ليتسنى لنا الخوض في البحث وتلمس الابداع واسبابه لدى الشعراء فأننا نجده

عند بعض النقاد على انه (موقف خارجي، مادي أو اجتماعي، يستجيب له الدافع، فالطعام باعث يستجيب له دافع الجوع، ووجود شخص آخر أو صرخته باعث اجتماعي يستجيب له الدافع الاجتماعي أو عاطفة الشفقة، كذلك وجود جائزة أو مكافأة من البواعث التي يستجيب لها في مختلف الناس دوافع مختلفة ... والبواعث ايجابية أو سلبية. فالايجابية ما تجذب الفرد اليها كأنواع الثواب المختلفة، والسلبية ماتحمل الفرد على على تجنبها والابتعاد عنها كضروب الاستهجان أو العقاب التي تمثلها القوانين الرادعة والزواجر الاجتماعية)[٧] وبهذا يكون الباعث قوة خارجية تحرك ما في الداخل من ساكن.

وإذا ما اردنا ان نترجم تلك البواعث على نفسية الشاعرين الفرزدق وجرير نجدهما قد تأثرا بكثير من تلك البواعث التي حوّلت ما فيهما من نقص وشعور بالدونية الى قوة من قوى الدافع نحو الأبداع الذي استطاع النقاد تمييزه [٨].

إذ إن هناك بواعث نفسية اثرت في نفسية الشاعرين فجعلت قريحتهم تفيض بغرض الفخر، ومن خلال الدراسات يتبين إن هناك إنفعالات داخلية تحركها مؤثرات خارجية تجعل من الشاعر مُبدع في هذا المجال، لذا توجب على الباحث الخوض في مضمار هذه البواعث والتعرف على ماهيتها .

يُعدّ الفرزدق من ابرز الشعراء في العصر الاموي وان ما ميزه في ذلك هو تألقه في غرض الفخر[٩]، فقد اجتمعت بواعث عدة جعلت منه يكثر من هذا الغرض ومن تلك البواعث هو انتسابه لقبيلة تميم التي تحتل مكانة مرموقة بين القبائل[١٠]، مما جعله يعتد بنفسه فاخرا بها من خلال انتسابه اليها، إذ قال:

لا قومَ اكرمُ من تميمٍ إذ غدتْ عوُدُ النِّساء* يُسقنَ كالآجالِ

الضَّاربون إذا الكتيبة احجمتْ والنازلُون غداةَ كُلِّ نزالِ[١١]

ان ما جاء به الفرزدق من شاهد في هذين البيتين ترجم انتسابه الى قبيلة عريقة، وابناء كرام، إذ ابتدأ الشاعر الكلام بـ(لا) النافية التي تعبر عمّا في داخله من كبت اجتماعي وثقافة جمعية تسير الوعي الجمعي الى ان الكرم هو الاساس في رِفعة القوم، لذا حاول الشاعر ان ينفي ما للاقوام الاخرى من كرم يضاهي كرم عشيرته، وهذا يعد نوع من

انواع التحرر النفسي للوصول الى ما يريده من تميز ضد الآخر، إذ تميزت هذه القبيلة بكرم منقطع النظير.

وهناك باعث آخر زاده اعتدادا وفخرا بنفسه ألا وهو انتسابه الى أسرة عريقة معروفة من اشرف بيوتات بني تميم، إذ ليس بينه وبين معد بن عدنان جد مجهول[١٢]، فاخذ يفخر بمآثر صعصعة جده الذي عُرف ب(محيي الموؤدات)[١٣] الذي كان يفتدي البنات كل واحده بناقتين وجمل إذ تجاوز افتدائه اكثر من اربعمائة بنت[١٤]، إذ قال فيه:

أبي أحد الغوثين صعصعة الذي متى تخلف الجوزاء والنجم يمطرِ

أجار بنات الوائدين ومن يجر على الفقر أنه غير مخفر.[١٥]

ومن خلال هذه الكلمات استطاع الشاعر ان يتنقل باستعاراته الجميلة والمدروسة التي شبه بها صعصعة جده فقد استعار من الغيث عمله وسموه في الحياة، أإذ انه لا يخفى الى كل ذي لبّ ما للغيث من فائدة وأثر على الارض، إذ اننا نعلم ان الغيث هو أحد اسماء المطر التي تغني الارض بالخيرات، فصار هناك غيث في السماء وغيث آخر في الارض فغيث السماء يأتي رحمة للناس عبر نمو الزرع لاستمرار حياة الخلق، وكذلك جده صعصعة الذي اغاث بناتاً كُثراً كِدْنَ أن يوئدن على يدِ ذويهن.

فهو بذلك قد ساعد في الحفاظ على ديمومة الانسانية والخلق من خلال دفعه الاموال لذويهن من أجل عدم وئدهن متخذين من فقرهم وخشية الاملاق سببا في ذلك، فهذا العمل قد افتخر به الفرزدق وحاول ان يتسلق به الى العلا، وهو بهذا يعكس ما في داخله من شعور نفسي تسببه الباعث الرئيس وهو كرم جده والذي حاول ترجمته الى الفخر امام الآخر .

ومن البواعث الاخرى فخره بكرم والده غالب بن صعصعة الذي كان جواداً كريماً، إذ عُرف بصاحب الابل الكثيرة[١٦]، الذي طالما افتخر به الشاعر، إذا يقول فيه:

إذا ما رأوا ناراً يقولون: ليتها وقد خصرت أيديهم، نار غالبِ

الى نار ضرَّاب العراقيبِ لم يَزلْ له من ذُبابي سيفهِ خيرُ حالبِ .[١٧]

اختار الشاعر في هذين البيتين شواهد اتكأ عليها لتكون شاهدا على ما تحمله نفسه من فخر واعتزاز يظن به تمييزا عن الآخر وهذا هو ديدن من يحملون نفسا متعالية يحاول توظيف كل ما يستطيع توظيفه ليكون متكئا له في التواصل مع الآخر ويجعل نفسه في المقدمة.

فقد افاض الفرزدق بصورة شعرية جميلة خص بها والده غالب بن صعصعة الذي عُرف بكرمه، إذ يقول ان المسافرين في الصحراء في ليالي الشتاء القارص كانوا عندما يروا ناراً وقد تجمدت اطرافهم من شدة البرد يقولون ليتها تكون نار غالب التي طالما كانت تضيئ ليلاً لكي يهتدي الضيوف اليها، واشتعال النار كان دليلاً على الكرم وامان للتائهين في الصحراء[١٨]، فقد كان والده مضرب للمثل في الكرم والشجاعة.

وكذلك نجده يفاخر خصمه جرير بصيغة هجومية تعتليها حالات نفسية تشده الى الشتيمة(يا ابن المراغة) تارة والتفضيل تارة اخرى، إذ يقول ان ليّ القدرة ان افضّلهم على قبيلة طيئ التي عُرفت بالكرم، اما انت ياجرير فلا تستطيع ذلك؛ لانه لا يوجد من اخوالك من يمتلك الكرم حتى تفاخر به، ولعلم الفزردق من ان خال جرير كان يتسم بالحمق إذ طالما عُير به جرير، لذا اتخذها ذريعة وحجة وسلاحا يهاجم به خصمه وهي نزعة عدوانية تولد مع الانسان وتسيطر عليه.

وهذه من البواعث التي اثارت الفرزدق وجعلت منه عاكسا لمّا في داخله من مشاعر حقد اتجاه الشاعر جرير مستغلا ما لأخواله من سمة يستحسنها العرب، وقد نجح في ذلك؛ لكونه اختار صلة القرابة عالية القدر التي لم يمتلكها الشاعر جرير لتكون شاهدا امام الجميع، وبذلك تهدأ مشاعره من خلال توظيفه عنصر الفخر.

وهناك من البواعث التي اثرت في نفسية الفرزدق ما جعلته يرى انه متكامل الشخصية لا يرى في نفسه ايّ منقصة، على الرغم من انه سُمي بالفرزدق لجهامة وجهه وقصر قامته[١٩]، وهذا مما لا يخفى على الجميع مع هذا نجده يفخر بنفسه ويقول:

انا ابن ضبة فرعٌ غير مؤتشب يعلو شهابي لدى مستخمد اللهبِ

سعد بن ضبة تنميني* لرابيةٍ تعلو الروابي في عزٍ وفي حسبِ [٢٠]

لقد حاول الفرزدق تكرار انتسابه الى قبيلة تميم لشعوره بفراغ نفسي حاول ان يملأه ليسد ذلك النقص الذي يحس به، فقد اشار في هذه الابيات انه منحدر من نسب لا تشوبه شائبة، وانه ينتمي الى ضبة الجد الذي عُرف بالاصل الرفيع والشريف الذي لا يوازيه عزّ وحسب .

وبحسب نظرية ادلر(عقدة النقص)[٢١] فقد كان الفرزدق يتسلق المجد بأجنحة قبيلته واسرته، ويسد النقص الداخلي بمتكامل خارجي ألا وهو الحسب والنسب الذي ينظم تحت لوائه، فهو في ذلك يقول:

أنا ابن تميم، والذي لي عزُّها على الناس بذاخٌ من العزِّ مُدسرُ

ومن يلقنا من شانيء يلقه لنا على الناسِ معروف كثيرٌ ومنكرُ

وقدعلم الناسُ، الذين ابوهم لحوَّاء، أنا من حصى التربِ أكثرُ[٢٢]

ويقول ايضا :

أنا السابق المعروف يوماً إذا انجلت عجاجة ريعان الجياد الأوائل [٢٣]

ولعل (الأنا) التي كثُرت في اغلب ابيات الفرزدق خير دليل على انه كان يُعاني من ضغط نفسي يحيله لاستعمال هذه المفردة التي طالما استعملت للاستعلاء والفوقية، وقد ادخرها الشاعر هنا لتكون له وسيلة من خلال الفخر الذي يتبارى فيه ضد الاخرين، وقد يكون السبب في ذلك؛ هو تعظيم القبيلة للشاعر مما جعل هذا التعظيم يكون باعثا قويا له في امتلاكه الرفعة على الاخر والتفاخر عليه.

فقد حاول الفرزدق من خلال تعظيمه لنفسه ان يدمج هذا الامر بالباعث الاخر وهو القبيلة حيث اكد كثيرا على ربط أنويته بالانا العليا والتي تمثلها القبيلة، إذ نراه يقول: انا ابن تميم والذي لي عزها وما قاله في شواهد عدة كثيرة، فقد استطاع ان يبني مجده بمزج الانا المتمركزه في نفسه والانا العليا التي انبرت من حبه الكبير لقبيلته التي ما انفك يدافع عنها ويفاخر بها، وهو بهذا يكون مدافعا عن نفسه ومفاخرا بها(وهذا اللون من الشعر يمتزج الفرد بالجماعة امتزاجاً تاماً، وتتضخم الذات، لكنهاعلى تضخمها تذوب في

الكيان العام للقبيلة، كما تندفع ألسنة اللهب من قمم البراكين متعالية أول الأمر، ثم تنساح على السفوح لتصل حميمها الى ما يحيط بها بعد ذلك، فتلهبه)[٢٤].

وهنا يكون قد حقق الفرزدق من الفخر ديمومته من خلال ربط الانا بالانا العليا رغبةً منه لتحسين صورته متناسيا ما فيها من نقص خارجي.

وبعد هذا المرور السريع على بعض البواعث النفسية لدى الفرزدق والتي تُرجمت بشكل ابيات شعرية حملت ما حملت من الضغوطات النفيسة المؤثرة سوف نعرج على بعض من ابيات الشاعر الاخر وهو جرير لنرى تأثير تلك البواعث عليه وكذلك محاولة معرفة ماوراء تلك الابيات الشعرية التي فخر بها، والاسباب التي جعلته يترنم بها.

فلربما تختلف تلك البواعث قليلا عمّا وجدناه عند الفرزدق فقد يبدو الاختلاف واضحاً في مجال الفخر الذي تناوله الفرزدق، إذ كان حقيقياً من قبل القبيلة والاسرة بعكس جرير فقد كان فخره غير حقيقي، فقد كان نابعا من الحرمان والشعور بالنقص فهو نشأ في بيئة فقيرة ترعى الاغنام[٢٥]، فبهذا يكون لا يملك عشيرة ولا اسرة عريقة يعتد بها كصاحبه[٢٦]، فمن خلال هذه البواعث التي تُشعر جرير بالنقص تؤثر في تحريك الدافع الذي اشار إليه علماء النفس بانه(حاله داخلية، جسمية او نفسية تثير السلوك في ظروف معينة، وتوصله حتى ينتهي الى غاية معينة)[٢٧]، مما حرك الدوافع الكامنة في داخله للوصول الى مرحلة الكمال فاخذ يصنع له مجدا يواكب به معاصريه، وبحسب ما قاله (أدلر) أن اول المؤشرات على نمو وتطور الرغبة في ان يعترف الجميع بوجودنا يسيُر جنباً الى جنب مع الشعور بالدونية، الذي من خلاله يبدى الفرد بالتفوق على البيئة المحيطة له[٢٨]، ولذلك نجد الشاعر جرير لجأ الى قبيلته الام (تميم) لعدم وجود مناقب لكُليب، إذ يقول:

إذا غضبت عليك بنو تميمٍ حسبت الناس كلهم غضابا

ألسْنَا اكثَر الثقلَينِ رَجْلاً ، ببَطْنِ مِنِّى ، وأعظمَهُ قِبَاب[٢٩]

لقد عُدَّ هذان البيتان من قصيدة جرير من أفضل ابيات الفخر لديه، إذ فاخر بهما خصمه والتي خرجت مفرداته من تصارع الحقيقة والوهم عنده ما جعله يترجم تلك الارهاصات الى كلمات فخر مرتبطة في غريزة حبّ البقاء، وقد يكون هذا الاحساس وهذا

الاجراء نابع من حبه لنفسه[٣٠]، إذ حاول الشاعر ان يمزج الذات المتعاليه لديه مع ما لقبيلته من سمعة ورفعة، فضلا عمّا تحمله ثقافة القوم من منزلة للشاعر، ومن خلال ما تحمله قبيلة تميم من علو فقد حاول الشاعر الحصول على مخرجات فخره من قريحة شعرية ممتزجة بالحسب الرفيع والنسب العريق، إذ اراد ان يقول الشاعر في هذا البيت انه ينتمي الى قبيلة تميم التى اعطاها شرعية السيادة على كل الناس، وسلطة الامر والنهي، إذ يقول: إذا غضبت عليك قبيلة تميم فعلى كل الناس أن تعلن الغضب عليك؛ لكونهم ينطوون تحت لواء هذه القبيلة فيتوجب على الناس ان يكونوا طائعين لاوامرها، فقد اختار جرير المفاخرة في قبيلة تميم لكثرة امجادها وحروبها التي تجردت منها كليب، فأخذ يفاخر بقبيلته الام، وما نجده هنا في الحقيقة ما هو إلا محاولة للارتقاء بنفسه امام الاخر مستعينا بما تحمله تميم من سمعة ومنزلة، وهنا نستطيع تلمس تأثير الباعث الخارجي على الشاعر وهي شهرة وقوتها ورغبة الدافع الداخلي بالانتماء اليها مما جعل جرير يفاخر بها خصومه.

ومرة أخرى نجد الشاعر متأثرا بالبواعث الخارجية التي دفعته ان يفخر برجالات قومه دون ذكر اسمائهم ليوهم السامع بمَن يفخر، إذ يقول :

منا فوارس يوم الصمد كان لها　　قتلى وأسرى وأسلابٌ وأسلابُ

فسأل تميماً من الحامون ثغرهم　　والوالجون إذا ما قعقع الباب[٣١]

فقد أتكأ الشاعر في هذه الابيات على المجهول الذي يترجم ما في النفس من غياهب من الصعب الوصول اليها، ومن خلال هذا التيه الذي جاء به الشاعر حقق له مكسبا في ان يكون كل فارس هو منتمي اليه ولعشيرته، لذلك يطلق الشاعر السؤال الانكاري(فسأل تميماً من الحامون ثغرهم) الذي حتما هو عارف بجوابه ليكون حجة على الآخر المتباري في الفخر ضده، وهذا مدعاة الى ان نقف عند ما للباعث الخارجي من تأثير على نفسية الشاعر التي تحاول الوصول الى ما تبتغيه بكل السبل.

ومن خلال تتبع ديوان الشاعر جرير تبين ان عقدة النقص التي كان يعيشها الشاعر جرير قد اثرت فيه من خلال شعوره بالتفوق، وهذا ما اشار اليه بعض الفلاسفة(انه يوجد خلف جميع انماط السلوك التي تحاول ان تُظهر شعورا بالتفوق عقدة نقص تدعوه الى بذل مجهودات خاصة لاخفاء مشاعر النقص التي يعاني منها)[٣٢]، فكل

البواعث الخارجية التي كانت في بيئته من نقص في حسبه ونسبه قد حرك فيه الدوافع الكامنة وبروز عنصر الرغبة في الوصول الى المجد من خلال تغير الحقائق، وقد استطاع ان يُفاخر خصومه بأبيه الذي طالما عُرف بالبخل[٣٣]، وأن يتفوق عليهم ببعض الابيات الشعرية، إذ يقول :

لأبي الفضول على ابيك ولم تجد عما بلغت بسعيه أعمامي[٣٤]

فلقد ذُكر والد جرير في كثير من المصادر وما جناه جرير من بخل والده إلا سخرية خصومه له، إلا إنه حاول ان يحوّل هذا الاستهزاء الى قوة استطاع من خلالها ان يتفوق عليهم بها، إذ ان الشاعر في هذا البيت استعمل كلمة (ابي) ولم يذكر اسم والده الصريح (عطية) مما يُوهم السامع بمن يفاخر؟ وأيّ اعمام؟ فلم يأتي بأسم صريح، ولعلها تكون حالة من تعمد غياب الشخصية الواقعية واظهار شخصية قد رسمها الشاعر في ذهنه وزينها لتكون ملائمة لما تصبو اليه نفسيته، وقد يكون هذا هو النهج الذي سار عليه في مفاخرته لخصومه؛ ليخرج من دائرة الوضاعة التي يرسمها خصومه له بمعرفتهم ماهية وحقيقة عطية والده.

ونجده مرة أخرى يلجأ الى تزيين الصورة الحقيقية لتكون متوافقة مع رغباته ومتماشية مع ما تداول في القبائل من سمات يُعرف بها الرجال، فقد فاخر هذه المرة بأحد اخواله(مُعرض) الذي عُرف بالحمق حتى عُيّر به ودارت على الألسن طرائف حماقاته[٣٥]، إذ يقول :

خالي الذي اعتسر الهذيل، وخيله في ضيق معترك لها ومجالِ

جئني بخالك يا فرزدق واعلمن أن ليس بالغا أخوالي[٣٦]

فمما لا شك فيه ان جرير من الشعراء المشهورين في العصر الاموي الذي انماز شعرهم بالبساطة والعفة، الى ان قيل ان جرير اشعر عامة، وقيل ان بيوت الشعر اربعة: فخر، ومدح، وهجاء، ونسيب وفي الاربعة فاق جرير غيره[٣٧]، وقد برع في الاغراض الشعرية ومن بينها الفخر، إذ نجده في هذا الشاهد الشعري يفاخر صاحبه بأخواله وهنا يظهر العامل النفسي الذي يضفي على شخصية جرير بانه يفتقر لهولاء الاخوال الذين يحملون سمات الشرف والسمو بين الناس.

إلا إن احساسه النفسي يُملي عليه بأن يختار بدائل أو يغير الحقائق حتى يرسم له صورة متكاملة يستطيع من خلالها ان يواكب خصومه، وفعلاً استطاع ان يتفوق على اكثر من ثلاثة واربعون شاعراً فيبذهم وراء ظهره من جراء تزيف الصور لعائلته مع علمهم بها[٣٨]، وان دلَّ على شيىء انما يدلُّ على قدرة الشاعر العالية في تحويل السلبيات التي طالما طاردت نفسه وقيدت مشاعره الطامعة بالفخر الى ايجابيات على الرغم من انها غير حقيقية، فقد استطاع الثبات امام الخصوم بقوة شعره وجزالته .

وإذا ما حاولنا التعمق في نشأة الشاعر(جرير) نجده قد عاش حياة بائسة، مما تولد في نفسيته رغبة في الحصول على ما افتقر اليه وفقده في صباه من أسرة كريمة ورجال اشتهروا بالشجاعة وشرف الحسب والنسب، فكانت هذه بواعثاً نفسية انعكست بصوره واضحة في شعره، إذ نجده يقول في احد قصائده:

ومِنَا رسُولُ الله حقاً ولمْ يَزِلْ لنَا بَطْنُ بَطْحاويْ مِنّى وَقِبابُها [٣٩]

وهنا الشاعر قد استعان بباعث جديد وهو انتساب تميم الى نسل رسول الله (ص) فنجده قد تسلق هذا النسب بدافع رغبته النفسية، وحبّه لمعايشة الاخرين بذات متكاملة، فهو بهذا حاول ان يسد نقص النسب الشريف الذي طالما عانى منه في صغره لذا استعان بنسب الرسول الاعظم(ص) فكان له ارتكاز قوي اعتمده الشاعر في حبه لديمومة البقاء.

ويقول ايضا:

هذا ابنُ عمّي في دِمشقَ خليفةً لو شئتُ ساقكُمُ إليّ قطينا [٤٠]

فلقد اشار الشاعر في هذا البيت الشعر الى تنبيه الدافع النفسي الى الباعث الخارجي كما مثلوه علماء النفس بأن الطعام باعث والجوع دافع[٤١]، فلطالما أفتقر الشاعر الى انتمائه للخلفاء، فهو تمنى ان يكون له ارتباط حقيقي بالخليفة وهذا ما جعله يشعر بالنقص، فأخذ يفتخر بخليفة دمشق الذي لا تربطه به قرابة أسرية، ولعله حاول استثمار هذا الباعث السلطوي ليلبي له رغباته الكامنة في داخله والتي تحاول البروز بأجمل مظهر امام الاخر لذا حاكت الدوافع لديه في الرغبة للتعالي على الاخر رغبة في سد النقص الحاصل.

وإذا تتبعنا قصائد جرير نجده قد رسم لها صورة مكللة بالعظمة وحبّ الذات والرفعة على القوم لبلوغ منزلة التفوق التى اكد عليها بعض فلاسفة الغرب النفسيين حيث ان من تعلوه هذه السّمة تنطبق عليه مقولة (أنا أريد هذا .. ولن أقبل بديلاً عنه)[٤٢] فمن هذا المنطلق أراد جرير ان يبلغ هذه المرحله بأي وسيلة كانت، إذ نجده يقول:

أنَا الموْتُ الذي آتى عليكُمْ ، فليَسَ لهارِبٍ منّي نَجاءُ [٤٣]

ويقول ايضا :

أنَا البازي الُمدِلُّ على نُميرٍ أُتِحْتُ مِنَ السماء لها انصِبَابَا [٤٤]

ويقول :

أنا الدهرُ يُفي المَوتَ والدهرُ خالِدٌ فجِئني بمثلِ الدهرِ شيئاً يُطاوِلُه [٤٥]

ويقول :

أنا الذّائِدُ الحامي إذا ما تَخمطتْ عرَانينُ يربُوعٍ وصَالتْ قُرومُها [٤٦]

قد يستدل القارئ لهذه الابيات على سيطرة الانا لدى الشاعر في توليها مكانة السيادة على مفاصل الحياة بكل جوانبها وارتباطها بالرغبة المتمثلة بالنفس التي عبر عنها علماء النفس بـ(الهو) ومثلوا الانا كفارس يمتطي جواده محاولا ان يتغلب على قوة ذلك الجواد العظيمة، ولكن بقوة يستمدها من الخارج[٤٧]، لعل ما جاء به(فرويد) ينطبق على الشاعر جرير، إذ انه حاول ان يتغلب على قوة خصمة المتمثلة بعراقة الاسرة والاجداد من خلال استجلابه لقوة خارجيه تتكافأ مع الاخر، وهي اعتداده بنفسه وابراز مزايا مستعارة تجعل منه في مكانه التسلط والاستحواذ، وان ما تكرر من ضمير (انا) النابع من قلق وتذبذب نفسي في شخصية المتكلم، إذ انه أراد ان يحوّل النقص المسيطر عليه الى شموخ وتعالي فدفع بتكرار(انا) التي تُترجم حبّ الظهور فضلا عن محاولة التأثير في المقابل(المتلقي) واحداث صدمة يقف عندها طويلا ليضع نفسه في الصداره، ولربما تكون لفظة(انا) المتكررة كثيراً في ابياته الشعرية تُعدّ تعويضاً عن اسم محذوف غير ذي شأن.

وهناك من تحدث عن سمة التعويض التي يلتجأ اليها الانسان بسبب اصابته بالدونية ليبرز ابداعه عبر علاقته بالاخرين، وان كانت تميل الى جانب العدائية من

المجتمع، وقد ينماز من تغلب عليه هذه السمة بصفات منها الغرور والفخر والرغبة في النيل من الاخر باي ثمن[٤٨]، وهذا ما وجد عن الشاعر جرير من سمات تعويضية لما فيه من دونية.

وبما ان دراستنا قائمة على الموازنة وجب في نهاية الحديث عمّا يتعلق بالبواعث النفيسة لشعر الفخر لدى الشاعرين الفرزدق وجرير أن نوازن بينهما من خلال ما واجهنا من أرهاصات وانفعالات نفسية ترجمتها اشعارهم .

ونخلص مما تقدم من اشعار تخص البواعث النفسية في شعر الفخر للشاعرين جرير والفرزدق ان هنالك شعر للفخر الحقيقي الذي كان ينماز به الفرزدق وما امتلأت به المصادر من أخبار عن حياة الفرزدق ونشأته في أسرة كانت من اشراف العرب وامتزجت بالاجداد والاخوال فأخذ ينهل من كل جانب منها، فضلا عن ترعرعه في جوٍ مملوء بالسيادة لذا أخذت تنمو عنده روح الاعتزاز بالنفس.

ولعله أُصيب بداء العظمة الذي بدى واضحا في أبياته الشعارية، وهذا قد يكون من البواعث القوية التي جعلت منه مفاخراً الاخرين، إذ أخذ يفاخر الخلفاء بجده وابيه، حيث اوقعه هذا الامر في مشاكل كاد ان يخسر بها حياته، هذا ان دلَّ على شيئ فيدل على وجود فراغ داخلي لدى الشاعر يريد ان يُسيطر عليه من خلال هذه الامور، وقد يكون هذا احساس بالنقص ناتج من مظهره الخارجي من قصر القامة وجهامة الوجه[٤٩]، فضلا عن انه غير محبوب من قبل النساء[٥٠]مما أثار هذا السبب انفعالات نفسية وانبعاثات عدوانية اتجاه الاخر، وربما خلف هذا عنده عقدة النقص التي اشار اليها اغلب علماء النفس[٥١].

أما ما يخص البواعث النفسية في شعر الفخر لدى الشاعر جرير، فقد تكون سارت في منحى يختلف عمّا سار عليه الفرزدق من كونه كان يفخر بأمور غير حقيقية وغير موجودة على ارض الواقع، فمن خلال ما وجد في اغلب المصادر التي اشارت الى حياة الشاعر جرير اتفقت على انه نشأ في بيئة صحراوية في كنف عائلة فقيرة ترعى الاغنام[٥٢]، فضلا عمّا كان لسمعة أبيه وأخواله.

فكل هذه البواعث النفسية جعلت منه إنساناً يعاني من مجابهة الآخر، إذ جعلته يعاني من الكبت الداخلي؛ أثر الانفعالات الناتجة من الشعور بالنقص في داخله فاجتمعت

لديه الرغبة والدافع في الوصول الى مرحلة الكمال الذي عبّر عنها ألفريد ادلر(بالتعويض الزائد)[٥٣]، ما جعله يخلق نفسية جديدة بعيدا عمّا كان يعانيه من سمعة دونية في عشيرته واسرته.

وهنا نجد فخره مغاير للحقيقة التي عاشها على العكس من صاحبه الفرزدق الذي كان يتمتع بكل ما افتقر اليه جرير من حسب ونسب، إذ نجد الشاعر جرير يفاخر بأب لايذكر اسمه فعلى الرغم من ان مفاخريه يعلمون من يكون ابيه الا انه قد تفوق على اكثر من اربعين ونيف[٥٤] منهم.

وأخيرا يرى الباحث ان البواعث النفسية لدى الشاعر في ابراز شعر الفخر تختلف باختلاف الحالة النفسية لدى الشاعر وقد لا يكون الشعور بالنقص او الفقر او التهميش سبباً اساسياً في انعاش تلك البواعث كما وجد عند جرير لكون الفرزدق كان يمتلك اغلب ما افتقده خصمه إلا انه وظف تلك السمات المندوحة في الهجوم عل خصمه وكانت بذلك خير باعث لتوليد نتاج وابداع مازال لليوم في طور البحث والدراسة.

الهوامش:

---

[١] – طبقات فحول الشعراء، لمحمد ابن سلام الجمحي، شرح : محمودمحمد شاكر، دار المدني ، القاهرة – مصر،١٩٨٠م: ١/ ٢٥٩.

[٢] – البيان والتبين، أبي عثمان عمروبن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، القاهرة، ط٧ ، ١٩٩٨م : ٣٢٠/٢.

[٣] – الشعر والشعراء، ابن قتيبة: ، تح: احمد محمد شاكر، دار المعارف ، القاهرة، ٧٨/١.

[٤] – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، ط١ ، بيروت –لبنان ،١٩٨١م : ١٢٠/١.

[٥] – منهاج البلغاء وسراج الادباء، ابو الحسن حازم القرطاجني تح: محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م: ١١.

[٦] – منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٤٠.

[٧] – اصول علم النفس، دكتور احمد عزت راجي، دار المعارف، ط١١، القاهرة ، ١٩٩٩م : ٨١ .

[٨] – ينظر: الطبيعة البشرية، ألفريد ادلر، تر:عادل نجيب بشرى، المجلس الاعلى للثقافة،القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م:٧٩.

[٩] – ينظر: تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨١م : ٦٥١/١ .

[١٠] – ينظر: شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، د عبد الحميد محمود ، ١٩٨٢م : ١١.

*- عوذ النساء هي الابل وأولادها والآجال هي الفِرَقُ من البقر والظِّباءِ، ينظر: شرح نقائض جرير والفرزدق، برواية ابي عبد الله اليزدي واخرون ، تح : د. محمد ابرهيم حور والدكتور وليد محمودخالص ط٢ :ج /١

[١١] – ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه الاستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت– لبنان، ١٩٨٧م :٤٩٥.

[١٢] – ينظر: المؤتلف والمختلف : ٤٨٦.

[١٣] – تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ: ١/ ٦٤٩. وينظر: اروع ماقيل في الفخر، دكتور يحيى الشامي، دار الفكر العربي ، بيروت : ١١٦.

[١٤] – المقاربة بين الشعر الاموي والعباسي في العصر الاول ، الدكتور عزيز فهمي، تح: محمد قنديل البقلى، دار المعارف ، القاهرة ،١٩٧٩م: ٦٢.

[١٥] – ديوان الفرزدق :٣٢٩.سس

[١٦] – المؤتلف والمختلف :٤٨٦.

[١٧] – ديوان الفرزدق : ٣٠.

[١٨] ينظر: السرد القصصي في الشعر الجاهلي ، دكتور حاكم حبيب الكريطي ، دار تموز للطباعة ، ط١ ، دمشق ، ٢٠١١م :١٩٠ .

[١٩] – ينظر: الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء، لابن قتيبة الدينوري، تح: دكتور مفيد قميحه، دار الكتب العلمية،ط١ ، بيروت–لبنان، ٢٠٠٠م: ٢٩١. وينظر: معجم الشعراء، لابي عبيد الله محمد ين عمران بن موسى المرزباني، تح: فاروق اسليم، دار صادر، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م: ١٦٨.

*- تنميني/ بمعنى أنتمي أي أنتسب، والرابية/ هنا كناية عن شرف الاصل وكرم المحتد، ينظر: ديوان الفرزدق ٣٨ .

[٢٠] – ديوان الفرزدق : ٣٨.

[٢١] – ينظر:اصول علم النفس ،دكتور احمد عزت راجي: ١٤٩–١٥٠.

[٢٢] –ديوان الفرزدق :٢٦٤.

[٢٣] – (م . ن) :٤٧٧.

[٢٤] – الادب الجاهلي ، قضاياه، أغراضه ، أعلامه ، فنونه، دكتور غازي طليمات والاستاذ عرفان الاشقر، دار الارشاد ، ط١ ، حمص ، ١٩٩٢م: ١٣٧.

[٢٥]– ينظر: أول الشعر عُصارة الشعر الجاهلي والاسلامي والاموي، عارف حجاوي ، دار المشرق، ط٢ ، ٢٠١٨م: ٢٩٢. وينظر: الادب العربي وتاريخه في عصري صدر الاسلام والدولة الاموية، محمود مصطفى، مطبعة مصطفى الحلبي واولاده، ط٢، مصر، ١٩٣٧م: ٣٠٩.

[٢٦] – ينظر : جرير قصة حياته ودراسة شعره : ١٤٩–١٥١.

[٢٧] – اصول علم النفس، احمد عزت راجح: ٧٨.

[٢٨] – ينظر: الطبيعة البشرية، ألفريد ادلر: ٨٢.

[٢٩] –ديوان جرير : ٦٤.

[٣٠] – ينظر: الادب الجاهلي ، قضاياه اغراضه ، اعلامه ، فنونه ، غازي طليمات وعرفان الاشقر : ١٣٦.

[٣١] – ديوان جرير : ٤٤.

[٣٢] – ينظر: معنى الحياة، ألفريد أدلر:٧٨.

[٣٣] – وفيات الاعيان:٣٢٣/١. وينظر : المقاربة بين الشعر الاموي والعباسي: ٦٤. وينظر: التطور والتجديد، شوقي ضيف: ١٥٢. وينظر الاغاني : ٤٩/٨.

[٣٤] –ديوان جرير: ٤٢٨.

[٣٥] – ينظر: ديوان جرير، تح: دكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف ، ط٣ ، القاهرة، ٢٠٠٩م، ١١/١.

[٣٦] – ديوان جرير: ٣٧٨

[٣٧] –ينظر: وفيات الاعيان : ٣٢١.

[٣٨] -ينظر: الادب العربي وتاريخه في عصري صدر الاسلام والدولة الاموية، محمود مصطفى: ٣١٠

[٣٩] –ديوان جرير :٥٠.

[٤٠] –ديوان جرير :٤٧٧

[٤١] – اصول علم النفس، دكتور احمد عزت راجي : ٨١ .

[٤٢] – معنى الحياة، الفريد أدلر: ٩١.

[٤٣] –ديوان جرير : ١٤.

[٤٤] – ديوان جرير:٦١.

[٤٥] – (م . ن): ٣٨.

[٤٦] –(م . ن) : ٤٤٩

[٤٧] –ينظر: الانا والهو ، سيغموند فرويد، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروف، ط٤ ، القاهرة ،١٩٥٤م: ٤٣.

[٤٨] – ينظر: الطبيعة البشرية، ألفريد ادلر: ٨٦ .

[٤٩] – ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة: ٣١٦. وينظر: تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ: ٦٤٩.

[٥٠] – ينظر: طبقات فحول الشعراء، ابن سلام: ٣٣٤/٢. وينظر: شرح مقامات الحريري، لابي العباس احمد عبد المؤمن القيسي الشريشي: ١/ ٣٦٨ .

[٥١] – ينظر:اصول علم النفس ،دكتور احمد عزت راجي: ١٤٩–١٥٠.

[٥٢] – ينظر: تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ : ٦٦٤ .وينظر: اول الشعر عصارة الشعر الجاهلي والاسلامي والاموي، عارف حجاوي، دار المشرق ،ط ٢، القاهرة ،٢٠١٨م:٢٩٢.

[٥٣] – معنى الحياة، ألفريد أدلر،: ٣٦.

[٥٤] –ينظر: اول الشعر عصارة الشعر الجاهلي والاسلامي والاموي: ٢٩٦. وينظر: رحلة الشعر من الاموية الى العباسية ، دكتور مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٧م:٣٦.

المصادر والمراجع:

– الادب الجاهلي ، قضاياه، أغراضه ، أعلامه ، فنونه، دكتور غازي طليمات والاستاذ عرفان الاشقر، دار الارشاد ، ط١ ، حمص ، ١٩٩٢م.

- الادب العربي وتاريخه في عصري صدر الاسلام والدولة الاموية، محمود مصطفى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، مصر،١٩٣٧م.
- أروع ما قيل في الفخر، يحيى الشامي، دار الفكر العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٢م.
- اصول علم النفس، دكتور احمد عزت راجي، دار المعارف، القاهرة، ط١١، ١٩٩٩م.
- الأغاني، للامام أبي الفرج الأصبهاني(ت٩٦٧م)، تصحيح : الاستاذ الشيخ أحمد الشنيطي، مطبعة التقدم، مصر .
- اول الشعر عصارة الشعر الجاهلي والاسلامي والاموي، عارف حجاوي، دار المشرق ،ط ٢، القاهرة ،٢٠١٨م.
- الأنا والهو ، سيغموند فرويد، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروف، ط٤ ، القاهرة ،١٩٥٤م.
- البيان والتبين، أبي عثمان عمروبن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، القاهرة، ط٧ ، ١٩٩٨م.
- تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨١م.
- التطور والتجديد في العصر الاموي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط٨، القاهرة ، ١٩٥٩م .
- ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه الاستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت– لبنان، ١٩٨٧م.
- ديوان جرير، تح: دكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- رحلة الشعر من الاموية الى العباسية ، دكتور مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٧م.
- السرد القصصي في الشعر الجاهلي ، دكتور حاكم حبيب الكريطي ، دار تموز للطباعة ، ط١ ، دمشق ، ٢٠١١م.
- شرح مقامات الحريري، لابي العباس احمد عبد المؤمن القيسي الشريشي.
- شعر تميم في العصر الجاهلي، تح: الدكتور عبد الحميد محمود، من منشورات نادي القصيم الادبي،١٩٨٢م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ، دار الاحياء للعلوم، بيروت –لبنان، ط٣، ١٩٨٧م .

– الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء، لابن قتيبة الدينوري، تح: دكتور مفيد قميحه، دار الكتب العلمية،ط١ ، بيروت–لبنان، ٢٠٠٠م.
– طبقات فحول الشعراء، لمحمد ابن سلام الجمحي(ت٢٣١هـ)، شرح : محمود محمد شاكر، دار المدني ، القاهرة –مصر،١٩٨٠م.
– الطبيعة البشرية، ألفريد ادلر، تر: عادل نجيب بشرى، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
– العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، ط١ ، بيروت –لبنان ،١٩٨١م.
– المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، للامام أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي(ت٧٣ هـ)،تصحيح وتعليق الدكتور ف.كنرو، دار الكتب العالمية ،ط٢، بيروت –لبنان، ١٩٨٢م.
– المقاربة بين الشعر الاموي والعباسي في العصر الاول ، الدكتور عزيز فهمي، تح: محمد قنديل البقلى، دار المعارف ، القاهرة ،١٩٧٩م.
– معجم الشعراء، لابي عبيد الله محمد ين عمران بن موسى المرزباني، تح: فاروق اسليم، دار صادر، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م.
– معنى الحياة، الفريد أدلر، تر: عادل نجيب بشرى، دار المجلس الاعلى للثقافة، ط١، القاهرة: ٢٠٠٥م.
– منهاج البلغاء وسراج الادباء، ابو الحسن حازم القرطاجني تح: محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م
– وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان(ت٦٨١ هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م .